وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى / كلية التربية الاساسية
قسم الجغرافيا

محاضرات في جغرافيا الاستيطان الريفي

اعداد المدرس المساعد
م.م. مياده فرحان حميد

المحاضرة الاولى

نشوء الاستيطان الريفي وتطوره

الاستيطان أو العمران البشري ، فرع حديث في الدراسات الجغرافية يرتقي به العهد الى مطلع القرن العشرين ٠ ولعل أبرز أهدافه هو الربط بين مظاهر السطح والخصائص الفيزيو غرافية للمكان من جهه وبين أختيار مواضع للمستوطنات لأغراض معينه من جهه أخرى ٠
فأنه يتعرف من خلال التباين في توزيع كثافة الاستيطان وتنوعة على البيئات المتنوعة والظروف الطبيعية التي خضع لها كل أقليم ، أضافة الى مقدار الجهود التي بذلها الانسان لاستقرارة ، وقد اتسع منهج البحث في الاونة الاخيرة ليشمل النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية للمستوطنات فكما تهتم الجغرافية بدراسة الانسان حيث توزيع وانتشاره ، كذلك باستخدام الارض في مجالات مختلفة في مقدمتها اختيار الانسان موقع لاستقراره دون غيرها متخذا اياها موطن للعمران.

فقد اكد (فلبريك) في تعريفة للجغرافية تحليل وتفسير انماط سكني وتعميره للأرض ٠ على ان الدراسات التي تناولت العمران لم يعد التركيز فيها على انماط المساكن ومواد البناء المستخدمة بل على موضوعات تتعلق بتوزيع وتصنيف المساكن والتنظيم المكاني للمساكن والمستوطنات ٠

ويبدو هذا النمط من الدراسات لاقى اهتمام المدرسة الفرنسية حيث قام العديد من روادها بدراسة مفصلة للمستوطنات كما قام الجغرافيون الالمان بدور مماثل وعنيت بها المدرسة الانكليزية التي وسعت نطاق دراستها فشملت المستوطنات الريفية مثلما شملت مراكز الحضارة واتخذ اسم جغرافية (الاستيطان) أو العمران البشري ٠
ولا ريب في أن اهتمام الجغرافية بالمسكن انما هو من القبيل العناية بظاهرة من صميم حياة الانسان ومن شأن الجغرافي في تعميق النظرة الموضوعية وتوسيع دائرة البحث الميداني ، وصولا الى تقويم عملية السكن ، وأنماط المستوطنات ومتابعة العوامل المؤثرة بها ٠

ويمثل الاستيطان الريفي في دراسته لأنماط المستوطنات الريفية وتطورها وتوزيعها الى جانب اهتمامه بمسكن الريفي ٠ فرعا من جغرافية الاستيطان ، وتهدف جغرافية الاستيطان الريفي الى :

- نشأت وتطور المستوطنات الريفية ٠
- السكن الدائم وغير الدائم ٠
- الانماط التوزيعية للمستوطنات الريفية وعوامل توزيعها ٠
- خصائص المسكن الريفي وأنماط وتوزيعه ٠
- سكان الارياف ، مشاكلهم وصلاتهم الإقليمية ٠
- توزيعات إقليمية للمنزل القروي ٠

وعلى الرغم من أن الريف سابق للحضر في العمران ، الا أن الدراسات التي تناولت الريف أرضا وعمرانا ، كانت أكثر حداثة عند الجغرافيين مقارنه بدراسات الحضرية وقد تبلورت مثل تلك الدراسات ، وأتخذت منهجا واضحا بعد الحرب العالمية الثانية ٠

بيد أن هذا لا يعني أن موضوعات الأستيطان الريفي لم تعالج أو أن الجغرافيين لم يتناولوها من قبل ، فثمه دراسات تناولت الأستيطان الريفي بشكل و أخر ، ضمن أهتمات تمتد الى تاريخ أبعد من ذلك ، وعبر موضوعات في جغرافية الريف ، أو الجغرافية الزراعية ، أو الجغرافية العمرانية ، أو ضمن موضوعات أستخدام الأرض في المناطق الريفية وقد كانت مساهمات (رتر) (١٧٧٩- ١٨٥٩) خصبة في هذا المجال ، لا سيما خلال دراساته لانواع مساكن الريفية وأنماط توزيعها والعوامل المؤثرة فيها ، الأمر الذي يمكن أن يغزى اليه الفضل في وضع اللبنات الأولى لجغرافية الأستيطان الريفي ٠

ويمثل الريف مجالا للبحث بالنسبة لجميع العلوم الاجتماعية وكان من الطبيعي ان يبدا الجغرافيون والبيئة في تحديد التوزيع الجغرافي للظواهر المختلفة باتجاه الريف ويمكن اعتبار بيير جورج واحدا من ابرز الذين درسوا وتناولوا تحليل مثل تلك العلاقات في كتابه جغرافية الريف (١٩٦٣) ومن بين هذه الدراسات : دراسة متزن (١٨٩٥) عن الاستيطان الريفي والوحدة السكنية في الريف الالماني وذلك في كتابه (الزراعة والاستيطان في شرق وغرب المانية)

وقد صاحب النصف الثاني من هذا القرن ظهور دراسات ريفية تجمع بين اكثر من ظاهرة من بينها : الاستيطان الريفي والتنمية الريفية او التخطيط الريفي او الاستثمار الزراعي كما في دراسة جيشولم (١٩٦٢) بالاضافة الى العديد من الدراسات الاخرى التي ظهرت خلال فترة الستينات والسبعينات من هذا القرن فيما ظهرت دراسات مستقلة تناولت الارياف والاستيطان الريفي كحقل مستقل في المعرفة الجغرافية منها كتاب كلوت (١٩٧٧) وكتاب سنغ (١٩٧٥) وكتاب بيكر (١٩٦٩) من جهة اخرى كان للامم المتحدة دورا مضافا حيث تم عقد عدة مؤتمرات وندوات عالمية وافرواسيوية عالجت قضية الاستيطان الريفي في الاقطار النامية الى جانب نشاطات منظمة الفاو (منظمة الغذاء والزراعة الدولية) .

وتتناول دراسة الاستيطان الريفي ، المستوطنات الريفية بدءا من الخلية السكنية الصغيرة للاسرة مرورا بمجموعة الوحدات السكنية التي تشكل القرية وانتهاء بالاقليم الريفي المتمثل بمجموعة القرى والتجمعات السكنية في الارياف سواء من حيث التركيب او تخطيط الوحدات السكنية ونمط بنائها وتوزيعها او طبيعة العلاقة بين بعضها البعض الاخر وبينها وبين المجتمعات الاخرى

ويمكن القول بان اغلب المساهمات الحديثة في جغرافية الاستيطان اتجهت الى دراسة المساكن الريفية من حيث توزيعها ومواد بنائها لاسيما للجغرافيين الالمان حيث حظيت المستوطنات الالمانية باهتمام خاص في دراسات متزن للمستوطنات الاوربية اكد فيها على مورفولوجية القرية فيما انصب اهتمام الفرنسيين على اشكال المساكن ونمط بنائها وكانت دراسة ديمانجون موجهة نحو موقع ووظيفة وحجم ونشاة وانماط توزيع المستوطنة والعوامل التي تقف خلف هذا النمط

البعد التاريخي للاستيطان الريفي

يمثل الاستيطان الريفي مرحلة مهمة في تطور المجتمعات البشرية بما يعكسه من اثارونتائج في المراحل التالية من تطور المجتمعات فاستقرارالانسان في بيئة معينة يعني تكيفه لاجوائها كما ينتج عن ارتباطه بالارض واتجاهه نحواستثمارها واستقراره عليها قيام نوع من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة

ان التجمعات السكانية في العالم وليدة ظروف وتفاعلات بين السكان من جهة وبينهم وبين البيئة الطبيعية من جهة اخرى وهذا ما يعمل على تجمع السكان في بيئات معينة كنوع من انواع الكفاح من اجل البقاء والاستمرار بما يصار الى شكل من اشكال التوزيع يضع الانسان في المكان الاكثر ملائمة له ولظروفه الاجتماعية والاقتصادية ،

وتمثل القرى اقدم مراكز الاستيطان البشري واكثرها انتشارا على سطح الارض فلقد اضطر الانسان الى الاستقرارعقب حقب طويلة متنقلا بحثا عن الماء والكلا والراحة والامان ومن المرجح ان استقرار الانسان هذا ارتبط اول الامر بالملاجى والكهوف التي اتخذت فيما بعد شكل المنازل الصغيرة سميت (القرية)

ويعود ظهور القرية الى العصر الحجري الحديث خلال الفترة ١٠٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ ق . م حيث انتقل الانسان من مرحلة الجمع والالتقاط والصيد الى مرحلة الرعي والزراعة وتقترن الحضارات الزراعية بظهور القرى فهي اول مظهر من مظاهر التعاون بين السكان في العمل والنشاط الاجتماعي

ولعل اول القرى ظهرت في وادي الرافدين ووادي النيل واقليم البنجاب في الهند وربما كانت هذه القرى النويات الاولى التي تطور منها هذا النوع من العمران البشري الى المدن من جهة اخرى و

ويمكن اعتبار المرحلة الاولى التي بدا فيها الانسان بانتاج الغذاء وما بعدها تاريخا متميزا في حياته بل وثورة حقيقية في التطور الحضاري البشري لان التحول من استهلاك الغذاء الى الانتاج غير من اسلوب استخدام الارض وصور توزيع الجماعات البشرية وطريقة استقرارها وتعمير الارض . ومن المعروف ان الحصول على الغذاء يمثل الوظيفة الرئيسية للقرية الان الحاجة الى الامن لاتقل اهمية عن ذلك ومن هذه الاهمية نجد ان توزيع الوحدات السكنية وطريقة انشائها قد تاثر كثيرا بدرجة تحقيقها للامن والاستقرارمن جهة اخرى وتلبية المتطلبات الغذائية من جهة اخرى

وعليه فان اهمية الوحدة السكنية لاتتوقف على ايجاد الماوى بل وعلى النشاط الاقتصادي الزراعي واستثمار الارض فثمة علاقة وثيقة بين خصائص السكن الريفي وانماطه وبين النشاط الاقتصادي لسكان الارياف

ولاشك فان لطول فترة التعمير البشري اثرا واضحا في حجوم مراكز الاستيطان الريفي فغالبا ما تتسم مناطق التعمير القديمة بكثافة في سكانها وتتقارب بين مستوطناتها بينما تكون الاقاليم حديثة التعمير صغيرة الحجم ومتباعدة حيث يبدو ان معظم المدن القديمة كانت عبارة عن قرى اندثرت اما بسبب تغيير مجاريها او بسبب تغير الظروف المناخية او الحروب والامراض والاوبئة او الاحداث السياسية ولم يبقى منها سوى الاطلال .

المحاضرة الثانية

التصنيف الوظيفي للاستيطان الريفي

يتوزع سكان الارياف على ثلاثة أنواع من الحرف يمكن تصنيفها على وفق ما يأتي :

١- حرف أوليه : التي تعتمد على الارض مثل الزراعة ، أعمال الغابات والصيد او على البحر مثل صيد الاسماك ٠
٢- الحرف الثانوية : يمتهن السكان في هذه الحرفة ما يخدم حاجات السكان الأولين مثل أصحاب المتاجر والمحترفين والرسمين وعمال المواصلات ٠
٣- الحرف العرضية : السكان العرضيون ، وهم السكان الريفيون الذين يقتنون الريف بأختيارهم لكنهم لا يعملون في أي من النشاطات الاولية أو الثانوية ، وهم يأتون الى الريف لأتخاذه منتجعا فصليا للسكن فقط أو لكونهم من رجال الدفاع ، وأهمية هذه المجموعة بتزايد مستمر ٠

ومع ذلك لأن فأن الوظيفه الرأيسية من المستوطنات الريفية هي أيواء سكان الأرياف وتوفير الحمايه لهم من الظروف الطبيعية القاسية ، وتهيئة المناسبة لحياة العائلة التي تكون الوحدة المهمه في المجتمعات الريفية في كل اقطار العالم ٠

وقد وجد فنس ان السكان الريفيين الثانويين كانوا يشكلون نحو نصف سكان الريفيين الثانويين الى الاوليين تختلف تبعا للظروف الطبيعية وانواع الزراعة وانماط الاستيطان ودرجة الاتصال ٠

وقد فحص روبرتسون العلاقة بين المجموعات الثلاثة من السكان الريفيين في انكلترا وويلز فاستنتج ان المقاطعات الريفية تشكل ثلاثة انواع سكانية هي :

١- زراعيون – ريفيون ٠
٢- ريفيون ٠
٣- ريفيون مدنيون٠

اما الريفيون النموذجيون فيشكلون السكان الريفيون الرئيسيون نحو ٤٥% من المجموع بينما يشكل السكان الثانويون نحو ٥٠% والسكان العرضيون نحو ٥% وأكثر هذه الانواع انتشارا هي احزمة السكان الريفيين – المدينين حيث يقل السكان المشتغلون في الزراعة هي ثلث السكان وحيث يشكل السكان العرضيون اكثر من ٢٥ ٠

ان تقرير خواص السكان الريفيين في مناطق الاقتصاد المتقدم امر شائع ففي الولايات المتحدة لاحظ زيلنسكي سبعة اصناف للسكان الريفيين غير الزراعيين هي :

١- اشخاص مدنيون اساسا يعيشون في قرى او قطع غير مبدعه على حافات المدن التي من حجم اقل من ٥٠ الف نسمه ٠
٢- اشخاص متقاعدون واخرون يعملون في المدن ويسكنون في القرى ٠
٣- سكان قرى متكتلة من حجوم صغيرة وكبيرة في المنطقة الريفية الكائنة خارج المدن ٠
٤- ريفيون يعملون في اعمال غير زراعية (لكنها ريفية) متناثرون ومنها العمل في الغابات والصيد البحري وصيد الحيوانات البريه والتعدين وتقديم خدمات مختلفة لسكان الريف ٠

٥- ريفيون متناثرون يعملون في النقل والخدمات الترفيهية وخدمات الطرق اضافة الى مهن اخرى تعني بالمرور (الترانزيت)٠

٦- السكان من الموظفين والعسكريين الذين يعيشون في معسكرات ريفية ٠

٧- الطلاب الذين يعيشون في ضواحي ريفية او مساكن عند دراستهم في الجامعات ٠

وفي امريكيا يؤمن الكتاب بفكرة وجود ما يعبرون عنه باسم الريف المتحضر خارج حدود المنطقة التي تغطيها المباني ٠ وفيه تختلف المزارع بمنازل اهل المدينة ٠ويميل بعض سكان المدن عموما في الوقت الحاضر الى غزو الريف والاقامة في القرى ٠

الا ان هذا الغزو في البلدان النامية يعد من اكبر المخاطر لكونه يقضي على مساحات كبيرة من الاراضي الزراعية المحيطة بالمدن الكبرى ويجعل من السكان الريفيين النازحين نحو المدن والمستقرين في هذه النطاقات الانتقالية عاله على المدن ومفقرين للمناطق الريفية اضافة الى صعوبة تصنيفهم هل هم حضر ام ريف لاسباب كثيرة ٠

وقد وضعت بلجيكيا نظاما يسمح بالتدخل بين الريف والمدينة حيث اعطت للكثرين من عمال المصانع قطعا صغيرة من الارض ليقيموا بفلاحتها في اوقات فراغهم وهو نظام قد لا ينجح في دول اخرى لقلة معرفة العمال بالزراعة او لان عمالها ليست لديهم الرغبة في قضاء اوقات فراغهم في الزراعة اذ ان طبيعة العمل تكون مجهدة لهم ٠

ان عدد السكان يمكن ان ينمو في القرى الكبيرة ولكن في اغلب القرى الموجودة في الاقاليم النائية يكون عدد المستوطنين في تلك القرى قد اخذ بالتناقص كما ان تلبية الاحتياجات للخدمات قد تقلص ، فالحرفيون يبقون ملازمين مع المنتجيين الصناعيين مما ادى الى اقفال الحوانيت وتركت العديد من المستوطنات الصغيرة خالية من اى نوع من الخدمات ما عدا دوائر البريد والدوائر العامة .

وقد حدد كلاوسن طبيعة المشاكل في المناطق الريفية المنخفضة (عدد كبير من البلدان الريفية الصغيرة) من التي سيقل عددها على الاغلب كما ان بغضها سوف يموت او يؤول الى الاختفاء سنة ٢٠٠٠ ولقد وجد برى عند دراسته لمنطقة في الولايات المتحدة خمس طبقات من المراكز السكنية هي : الضيعة ، القرية ، الحاضرة ، المدينة ، ثم العاصمة الاقليمية)

استعمالات الارض في المناطق الريفية

اذا كانت هنالك حرفة ما من حرف الانسان او اى نشاط من الانشطة التي تشغله ترتبط بالحياة الريفية ولها صلة وثيقة بها فان حرفة الزراعة والنشاط الزراعي تاتي اولا وتتفوق على غيرها من الحرف والانشطة لما بين الزراعة والحياة الريفية من ارتباط وتوافق وان هذا الارتباط ظل وطيدا منذ القدم وحتى الان .

ويمكن ملاحظة استعمالات الارض التالية في المناطق الريفية التي تعكس واقع التصنيف الوظيفي للمستوطنات الريفية في العالم وهي :

اولا : الاستعمالات الريفية في الاقتصاد البدائي

١ ـ جمع الغذاء والتقاطه

تمارس هذه الحرفة جماعات تخرج وتتحرك مجتمعة فهي تقوم بجمع النباتات الغذائية والجذور والفواكه وتدل حضاراتهم المادية من ادوات وملابس على بساطة العيش ومنها جماعة البوشمن والجران تشاكم الهندية

٢ـ مجتمعات الصيد

وهي جماعات تعيش على الصيد المتقدم كما تقيم مساكن مؤقته اتخذتها من واقع الادوات التي تستعملها هذه الجماعات منها جماعة الاسكيمو واقزام وسط افريقيا والهنود الحمر في امريكا الشمالية

٣ـ المجتمع الرعوي

تعتمد هذه الجماعات في حياتها على تربية الابقار بصفة اساسية وقد اقاموا عددا من المساكن المناسبة لهم واقاموا حضائر الماشية ان نشاط تربية الماشية والسعي وراء المراعي الغنية للحيوان استحوذة على كل جهدهم واصبحت هي الدعامة الاقتصادية الرئيسية ومنها جماعة اقليم البمبا في امريكا الجنوبية وجماعة النيلين ويدخل ضمنهم الرعاة الذين تتسم حياتهم بطابع الحركة التي تحكمها ظروف مناخية كالامطار وحركة المجتمعات البدوية التي تتبع مواسم المصادر المائية اينما وجدت

٤ـ النشاط الزراعي البدائي

يشمل الزراع الذين ينهجون اسلوب بدائي بسيط للغاية في زراعتهم للارض والتي تعرف ب(الزراعة المعيشية) التي تقوم على انتاج الغذاء لهم فقط ويدخل ضمن هذا الصنف قرى الواحات الصحراوية وقرى قبائل نهر الامزون ويشترك الصيادون والرعاة وحتى الزراع في اتخاذهم المسكن المؤقت فالسكن لديها ما هو الا مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية وهو انعكاس لنشاطهم الاقتصادي الذي هو دليل على التصنيف الوظيفي للاستيطان الريفي

ثانيا :- الاستعمالات الريفية فى الاقتصاد المتقدم

أ ـ الزراعة المختلطة بنمطها العام والخاص

ان الاستخدام الاكبر للارض هو زراعة المحاصيل الغذائية كالقمح والشعير في اوربا والذرة التي تزرع في الولايات المتحدة وسمي هذا النظام بالزراعة المختلطة لسببين :-

الاول :- ان الارض تستخدم في انتاج غذاء للانسان والحيوان في الزراعة الواحدة
الثاني :- ان الاساس الاقتصادي لهذه المزارع يعتمد على المحاصيل الزراعية وعلى منتجات الالبان
ونجد ان احجام هذه المزارع من النوع المتوسط وتختلف المساحة من قطر لاخر حسب المساحة الاجمالية للارض الزراعية كما ان بعضها تكون متخصصة في انتاج الالبان الى جانب التعدد الذي يميز الزراعة المختلطة وكان هذا التعدد يقوم بخدمة التخصص الوظيفي في هذه المزارع فاصبحت تنتج الحشائش والعلف التي تساعد على زيادة انتاج الالبان وبعد التطور الصناعي وكبر حجم المراكز الحضرية زادت الحاجة لاستهلاك الالبان مما شجع عددكبير من المزارعين على التخصص في انتاج الالبان كما هو الحال في المراكز الصناعية في الولايات المتحدة وجنوب شرق استراليا

ب ـ نطاقات الحبوب

بعد التطور الذي حصل في الالات الزراعية تمكنت الجماعات الريفية من زراعة مساحات واسعة في انحاء كثيرة من الدول التي تتوفر فيها ظروف ملائمة لانتاج الحبوب كما هو الحال في اقاليم البراري والسهول العظمى وفي الاتحاد السوفيتي ويطلق عليها اسم الزراعة الواسعة او زراعة النطاقات العظمى

وتتميز انتاجية الارض في هذه المناطق بارتفاع انتاجيتها من القمح كما هو الحال في الولايات المتحدة وكندا والارجنتين والاتحاد السوفيتي

وبسبب اعتماد انتاج القمح على الالات نرى ان النطاقات تتميز بنمط الانتشار والخلخلة السكانية وان الاستيطان الريفي هنا من النوع المبعثر او المنتشر كما تتميز القرى بضغر حجومها .
وان المجتمعات الريفية من اغنى المجتمعات الريفية في العالم ومزارعها من اكبر مزارع العالم من حيث المساحة

ج ـ زراعة الخضروات والفواكه

تزرع الخضروات والفواكه في بلاد كثيرة ومتنوعة الا ان نمط زراعتها ارتبط باقتصاد الزراعة المتقدمة الذي هو على مستوى تجاري لذا تسمى (زراعة الشاحنات) دلالة على الارتباط بين هذا الانتاج ومراكز التسويق حيث تقوم الشاحنات بنقاه يوميا من المزارع الى الاسواق في المدن الكبيرة وقد توطنت هذه المزارع المتخصصة قرب المراكز الصناعية والمدن وذلك لقرب المناطق الريفية من المدن الرئيسية ومراكز الاستهلاك مما جعل نفقات النقل منخفضة بسبب قرب المسافة الى تلك الاسواق لذا لجا المزارعون الى التخصص النوعي مثل بانتاج نوع من الخضر او الفاكهه كالتفاح وغيرها ،

وقد استفادت من التقدم العلمي والتقني في مجال الزراعة في مواجهة المشاكل التي تواجهها او مقاومة الامراض او الظروف المناخية فاستخدمت البيوت الزجاجية لحمايتها من الصقيع او استخدام شبكة من الانابيب التي توفر الماء الساخن لتحفظ حرارة ثابتة لازمة لنمو النبات وغيرها من الاساليب الاخرى

وهكذا فقد تخصصت تلك المستوطنات بهذا النوع من الانتاج الزراعي الذي يدر ارباحا عليهم مما اثر على مستوياتهم المعيشية المرتفعة كما ساعدهم على توفير خدمات كبيرة لعوائلهم في وحداتهم السكنية اذ اصبحت ذات مستوى مرموق من التصميم او مواد البناء المستخدمة فيها .

ثالثا : استعمالات الارض لأغراض غير زراعية

بعد التطورات التي حدثت على المناطق الريفية واتساع المناطق الحضرية وزحفها نحو الارياف ظهرت استعمالات للارض غير زراعية مما حدا بالباحثين الى دراستها مثل دنكان ورايس اذ خصص دراسة عن الريف غير الزراعي باعتبارها اجزاء ثانوية لمناطق الاطراف الحضرية

وقد تحولت العديد من المناطق الريفية الى ضواح على مقربة من المدن ومنها الضواحي الجميلة في مناطق الارياف التي اعدت كمناطق للراحة لقضاء العطل بسبب ماتمتاز به من اتساع وانفتاح وبعد عن مناطق الازدحام او انها ذات موضع جيد كوقوعها على جهة مائية او على بحيرة كما ان بعضها اصبح بيوتا للراحة او مصحات او اماكن لقضاء فترة نقاهة

ومن الضواحي التي تقع في المناطق الريفية هي الضواحي الصناعية وان ما يوفره الريف من مواد اولية للصناعة الزراعية وخاصة صناعة المواد الغذائية مثل صناعة السكر والتعليب والزيوت النباتية ومنتجات الالبان وضرورة انشاء العديد منها قرب الحقول الزراعية التي تنتجهاجعل من المناطق الريفية بيئة صالحة لاقامة تلك الصناعات واصبحت تلك المناطق تشهد اقامة صناعات متقدمة وشجع ذلك ماتوفره من ارض ذات سعر مشجع واجور عمل منخفضة .

كما ان الصناعات التقليدية الريفية التي كانت موجودة في الارياف قد حولت في كثير من الاقطار الى صناعات حديثة وابقيت في مواقعها في المناطق الريفية بقصد الاستفادة من الخبرات المتراكمة لدى اولئك السكان .

المحاضرة الثالثة

اشكال (مورفولوجية) المستوطنات الريفية

ان دراسة مورفولجية القرية لها بعدان ،يتمثل احدهما في شكل القرية وتكوينها وامتداد وحداتها السكنية ،ويتمثل الاخر في تصميم المسكن الريفي وبنائه وتكوينه ،وعليه فأن اهتمام مثل هذه الدراسة ينصب على المظهر العام للمركز السكني وما تحقق من تطورات في البناء او تصميم او التوسع العمراني ومن ثم فهي التعبير الحقيقي عن التفاعل بين الشكل العام للوحدة السكنية وطبيعة الوظائف التي تؤديها

ويختلف المسكن الريفي في مساحته وشكله كما يختلف في نمط ومواد بنائه فمنه البسيط المتواضع ومنه المخطط وبعضها ذات طابق واحد وقليل منها ذات طابقيين ومنها مابني من طين ولبن واخرى من طابوق او حجر او قصب او بردي

وقد استطاع متزن في دراسته للاستيطان الريفي في اوربا من تميز نمطي التركز والانتشار السكني بينما اهتمت دراسة دمانجون الفرنسي باشكال المساكن الريفية ومواد بنائها والمعلوم ان التغيرات التي طرات على شكل وتكوين الريف الاوربي خلال النصف الثاني من هذا القرن كانت سريعة وعميقة لاسيما في مجال النقل والمواصلات مما سبب اخفاء الكثير من ملامحها الاصلية

شكل المسكن الريفي

تمثل الدراسات الجغرافية لاشكال وصور بناء المسكن الريفي اضافة اساسية تمدنا بصورة غير مباشرة بافكار وتصورات ومشاعر الانسان حول البناء واشكاله وصور تكوينه في الاختلافات في مثل هذه المتغيرات يمكن ان ترتبط بصورة او باخرى باختلافات البيئه بشكل ما تمثله من قيم وامكانات مادية وغير مادية وقد حاول كنيفين جهده في الوصول الى تعبير مكاني للافكار الخاصة ببناء وتصميم الوحدات السكنية في الولايات المتحدة

ومن الممكن دراسة السكن الريفي كظاهرة جغرافية تدخلة في تشكيلها عوامل كثيرة فالسكن الريفي هو انعكاس صادق لظروف البيئة والمجتمع ومن المعروف ان طرازا مثل المسكن على الرغم من بساطة الخبرة الفنية والهندسية المستخدمة في تشيدة هو وليد معرفة الفلاح بطبيعة بيئته لذا فقد جاء

منسجم مع ظروف هذه البيئة وحسب حاجته حيث يظهر ذلك في التباين بين شكل وتصميم الوحدة السكنية من حيث المساحة وعدد الغرف ومواقعها

وتميل المساكن الريفية في امتدادتها الى الشكل المستطيل او ما يسمى (النمط الشريطي) مع امتداد مجاري الانهار او طرق النقل فيما تتخذ شكل دائري حيث تقوم الطرق الملتوية كما تتسم بعض القرى بتفرق وحداته السكنية حيث يفصل فناء واسع بين بعضها البعض وهناك القرى النجمية التي تمتد اطرافها من المرتفع والمنخفض من خطوط الكنتور وذلك رغبة من اهلها في الاستفادة من غابة او مرعى الى جانب زراعة الارض مثل قرى غرب اوربا

وتتخذ المساكن الريفية في قرى المناطق الجبلية شكلا مثلثا تتسع فيه القاعدة اسفل المرتفع ويمتد رأسه باتجاه القمة حيث تبدأ الوحدات السكنية قرب الوادي ثم تأخذ في الامتداد فوق المنحدر على هيئة صفوف من المدرجات حتى منتصف المنحدر او اعلى قليلا واصبح عرفا استغلال كل عائلة سطح المنزل الذي امام مسكنها لاغراضها الخاصة وتأخذ المدرجات المشتملة على تجمعات البيوت في التقلص كلما اتجهنا نحو اعلى المرتفع ويتناقص عددها حتى يصبح المدرج الاعلى عبارة عن مجمع واحد يضم مساكن قليلة وهكذا تأخذ القرية شكلا هلرميا في توزيع مساكنها

من جهة اخرى فان التوسع بالبناء يفقدها في بعض الاحيان شكلها الاصلي ، ان ثمة ثلاث مراحل تتسم بها القرية الجبلية في نشوئها وتطورها تمثل المرحلة الاولى التي تضم المساكن التي بنيت مع نشوء القرية وتتجمع على سفح الجبل بخطوط موازية لبعضها بينما يتجه السكان في المرحلة الثانية الى احتلال الجهات العليا من المرتفع صعوبة البناء وتعرضها الى الظروف الطبيعية من رياح وسيول وامطار ، اما المرحلة الثالثة فتتميز بزيادة عدد الوحدات السكنية حول القرية الاصلية باستثناء الجهات العليا لذا فان امتداد القرية وتوسعها يكون باتجاه الشرق والغرب حيث مقدمات الجبل والارض المنبسطة لاسيما في الظروف الاعتيادية حيث يتوفر الامن والاستقرار بالاضافة الى عوامل اخرى لها دور بارز في نمو ونشوء القرية منها : امتداد المرتفع ودرجة انحداره وكمية الموارد المائية ومصدرها .

وقد ادى اتساع رقعة القرية في الناطق المنبسطة الى انتشار الوحدات السكنية ولعل ما يزيد من وضوح هذه الظاهرة هو حجم القرية الكبير نسبيا بحيث تقوم مجموعة من المساكن حول القرية فيما تتفرق غيرها وتتخذ الوحدات عدة اشكال منها المستطيلة او الدائرية

والاساليب الزراعية دور في تشكيل القرية ، فالارض التي تزرع جماعيا كما في وسط اوربا تبني القرى المجمعة في مكان يتوسط الاراضي الزراعية كي يسهل استثمار الارض والوصول اليها بسهولة اما اذا امتلك الفلاح عدة قطع من الارض الزراعية فمن مصلحته السكن ايضا قريبا وفي مكان مركزي من الحقل فتاخذ شكلا مربعا او دائريا او نجميا تبعا لشبكة الطرق الخارجة المتجهة من مركز القرية

وللموضع اهمية في تقرير شكل القرية فقد تاخذ شكلا طوليا اذا اقيمت في واد ضيق محاط بحافتين جبليتين وكذلك قرى الضفاف النهرية اما القرى الموجودة اعلى التلال او الجزرفتاخذ شكلا مربعا

او دائريا بسبب صغر المساحة المخصصة للقرية بينما تتحكم سعة المساحة المروية في الجهات الصحراوية بحجم وشكل القرية فتتوزع المساكن فيها على امتداد جدول او مشروع مائي او بئر او اية مصادر مائية اخرى .

تصميم المسكن الريفي

لعل ابسط انواع المساكن الريفية هو البيت المنفرد المؤلف من غرفة واحدة يستعملها الفلاح وعائلته مسكنا لهم او لايواء الحيوانات وحفظ غلاله ايضا لذا فهو مضطر الى تقسيم الغرفة احيانا بحاجز من طين يفصل بين الجزء الذي يستعمله وعائلته والاخر المخصص للحيوان كما هو الحال في السودان والصومال . وكلما ازداد حجم العائلة ازداد عدد الغرف واتسع حجم المسكن وكنتيجة لانفصال الاسرة واستقلالها عن العائلة الرئيسة فقد يحدث تغييرا في حجم وتصميم المسكن اذ يميل الى الصغر كما وان زيادة عدد السكان يؤدي غالبا الى الزيادة في عدد الوحدات السكنية

وتبنى المساكن في الغالب من طابق واحد وربما مرد ذلك الى طبيعة العلاقات الاجتماعية التي تؤكد على العزل الاجتماعي الى جانب السعة الارض وطبيعة المواد المحلية التي تستخدم في البناء الريفي .

وتتميز الوحدات السكنية في المناطق المرتفعة كما هو الحال في شمال العراق بكونها تضم اكثر من غرفة وتحتوي معظم الغرف على فتحات دائرية او مربعة وربما على شباك واحد صغير تقوم هذه الفتحات مقام النوافذ اما الابواب فتكون صغيرة لاتسمح بمرور الانسان دون ان يحني قامته . ويعزى قلة وصغر الفتحات ونمط المداخل والابواب الى عوامل عديدة في مقدمتها انخفاض درجات الحرارة شتاءا وتاثير الرياح الباردة اضافة الى الاقتصاد في نفقات البناء ثم عدم الالمام بالنواحي الفنية ،

وتقوم المساكن في تلك المناطق على السفوح المواجهة للشمس ، وعلى ارتفاعات معينة وفي ظل المرتفعات حيث تكون درجات الحرارة اكثر ملائمة وفي مامن من الرياح الباردة ومثل هذه الظاهرة ، اكسبت البيوت القروية منظرا متميزا فظهورها الى الخارج تبدو مرتفعة قليلا عن الارض فيما يصل ارتفاعها من الداخل الى بضعة امتار وتميل السقوف قليلا لتساعد على انحدار مياه الامطار والثلوج ولذلك فان بنائها على السفوح يحول دون تجمع المياه وتراكم الثلوج اما المناطق المنبسطة لاسيما الحارة تكون الفتحات الرباعية او المستطيلة واحيانا الدائرية في الغرف وسيلة لتحديد اتجاه الرياح ودخول اشعة الشمس ،

وعليه فان للمناخ دورا مهما في تصميم وشكل المسكن الريفي لذا يلاحظ وجود ميل في السقوف في المناطق الممطرة كما يظهر تاثير المناخ على سمك الجدران للتخفيف من تاثيرات الجو ففي موسم البرد في المناطق القطبية تقيم جماعات الاسكيمو مساكنهم من كتل الجليد في شكل قبابي مستدير ثم يبطن هذا الجدران السميك بطبقة من جلد الحيوان مع ترك فراغ بين الحائط الجليدي والجلد كطبقة هوائية عازلة ـ ويكون مستوى الارض السكنية منخفضا لعمق يتراوح بين نصف متر ومتر عن

مستوى السطح الخارجي للارض والشكل القبابي للمناطق القطبية يلائم المناخ القطبي ببرودته الشديدة ورياحه المثلجة ،

وفي الاقاليم الحارة يقام المسكن الريفي بطريقة تسمح بوجود اجزاء مكشوفة تسمى (الحوش) مع زيادة في سمك الجدران للحماية من حرارة الشمس اضافة الى وجود نظام الفتحات التي تسمح بمرور التيارات الهوائية وقد تاخذ الشكل القبابي المطلي باللون الابيض لتبديد اكبر قدر من الحرارة وعكس اشعة الشمس كما هو الحال في شمال افريقيا وصعيد مصر .

ويقتصد سكان المناطق الحارة كثيرا في فتحات النوافذ عكس سكان البمناطق المطيرة اذ يبالغون في توسيع الفتحات للنوافذ ، وقد انتشر اخيرا نظام بناء المساكن ذات الجدران البلورية او الزجاجية التي تتعرض لاشعة الشمس وذلك لاكتساب اقصى فائدة من تلك الاشعة بينما تضيق الفتحات من نوافذ وابواب في المناطق الباردة ويخصص مكان للتدفئة ينساب دخانها الى المداخن المرتفعة مما تعد من علامات البيئة الباردة .

مكونات المسكن الريفي

على الرغم من عدم وجود تخطيط مسبق لبناء الوحدات السكنية في الارياف عموما الا ان هنالك قواعد مشتركة متفق عليها من خلال التراكم في التجارب والارث التاريخي لذا فان المسكن الريفي يضم :

١ ـ غرفة النوم ٢ ـ الحوش

٣ ـ المخزن ٤ ـ المضيف (احيانا)

٥ ـ الحظيرة

وتختلف هذه المكونات سعة ونوعا باختلاف حجم العائلة ومتطلباتها والمستوى المعيشي لها : وفيما ياتي تعريف لهذه المكونات :

١ ـ غرف النوم

لايكاد يخلو المسكن الريفي من غرفة او اكثر خاصة بنوم افراد العائلة وذلك تبعا لحجم ومقدار انتاجية العائلة الزراعية ، وقد تكون الغرفة على شكل مستطيل او مربع .

٢ ـ المضيف

ويعكس المستوى الاجتماعي والاقتصادي للعائلة ، الى جانب كونه مكان لتناول الطعام والمقر الذي يقيم فيه الغرباءاو الضيوف ويمكن القول بان مكانة الفرد في القرية ترتبط بسعة ونمط بناء مضيفه والذي يختلف سمة وشكلا تبعا لمكانة العائلة الاجتماعية والاقتصادية ويكون المضيف في العادة قريب من الباب الخارجي للمسكن معزولا عن بقية الغرف كما يتجه الباب الى الخارج توفيرا للعزل الاجتماعي .

٣ ـ الطارمة
وهي تمثل غرفة مفتوحة على الحوش وتستخدم لجلوس افراد العائلة لسمرها او تناول الطعام

٤ـ الحوش
وهو ساحة مكشوفة تتوسط المسكن الريفي وتتوزع على جوانبها الغرف المختلفة ويساعد وجوده على تهوية المسكن وتلطيف الجو صيفا ووصول اشعة الشمس الى البيت شتاءا كما يمثل الساحة التي تتحرك فيها العائلة ومقر جلوسها ايضا الى جانب كونه المكان المناسب لنوم العائلة صيفا كما يستعمل احيانا لايواء الحيوانات واغلب هذه المساكن لها مدخل واحد تشترك في استعماله العائلة وحيواناتها

٥ـ الحظيرة
وهي مأوى للحيوانات وتبنى منفصلة عن المسكن وتغلق ليلا للمحافظة على الحيوانات وتحاط بسياج المسكن حيث يكون الدخول لها من ضمن بابه ويقع بالقرب منها مخزن العلف والذي تتحدد مساحته بنوع وعدد الحيوانات التي تملكها العائلة كما يستخدم لخزن الاعلاف خلال الشتاء

ومن المعلوم ان تصميم وبناء المسكن الريفي تربيط اساسا بالوظيفة الاقتصادية للعائلة زراعية كانت او رعوية او كليهما او ان العائلة تعنى بالصيد او قطع الاخشاب فترتبط بالمستوى الاقتصادي للعائلة فالعائلة الريفية التي تزاول تربية الحيوان تمتلك مساحات من الارض تخصص منها مساحة واسعة للسكن فيما نجد تلك التي تتخصص في زراعة المحاصيل تمتلك مساحة صغيرة لكون الوحدة السكنية تقتصر على ايواء العائلة فقط .

المصدر
- صبري فارس الهيتي ،خليل اسماعيل محمد ، جغرافية الاستيطان الريفي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، ١٩٨٨.